الدرب مسامير

منار سهران شلهوب

الدربُ مسَاميرُ

سلسلة شهادات سورية -18- الدربُ مسَامير
منار سهران شلهوب

الإخراج الفني: فايز علام
لوحة الغلاف: كلود مونيه (Claude Monet)
تصميم الغلاف: فادي العساف

الطبعة الأولى ـ 2016

ISBN: 978-9953-583-72-3

تمت طباعة هذا الكتاب بمساعدة من جمعية
«مبادرة من أجل سورية جديدة» - باريس

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأية طريقة سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية مسبقة من الناشر ومقدماً.

الناشر:
بيت المواطن للنشر والتوزيع
دمشق ـ الجمهورية العربية السورية
هاتف: 78840213 961+
بريد إلكتروني:
baitelmouwaten@gmail.com

التوزيع:
أطلس للنشر والترجمة والإنتاج الثقافي
شارع الحمرا ـ بناء رسامني
ص.ب: 6435 / 113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 750054 1 961+
فاكس: 750053 1 961+
بريد إلكتروني:
atlasbooks@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن آراء الناشر.

الإهداء

إلى الحرب التي شوّهت أجنحتي..
إلى أياديكم التي التفت جبيرة حول أضلاع أحلامي المتكسّرة وأعادت
رسم الدرب: أبي.. أمي.. أخي
أيضاً إلى مَن قرأته مرةً وبقي حاضراً دوماً:
تاج الدين الموسى..
وفاءً للكتب التي عرفتك بها..

منار

منار..
اسمي الذي اختارته أمي
وكلما نادتني به
علمت بأنني لست ممن أنعم الله عليهم بالقناعة
نعم!
لست قنوعة
كما يقول أبي
حين يراني مثقلةً بأحلام كثيرة
حائرة كيف ألوّنها...لأني لست مطيعة
مراراً حذّرني
من يرفع صوته...يلقَ بندقية!

وأنا، إن واجهتُ بندقية..
سأطلق فيها... موّال عتابا

ابنةُ الحرب

وأيضاً
لأنّي ابنةُ الحرب
تعلّمت منها كيفَ تُشعِل الحرائق
بكلمةِ حبٍّ واحدة وتنتهي بالموت
ولأنَّ الجوعَ للحبّ يأكل جسدي...
أحببتُ الكثيرين الكثيرين...
ضممتُ صورَهم إلى صدري...
وأحرقتُها..
حمّلتهم خطايا حبّي
وللشّمس
رميتُ سيوفَهم... عن جسدي
ونفضتُ غبار جراحاتهم.. ومضيت.
وعاهدتُ النّهار ألّا أمددَ يدي
وأعودَ إليهم...
لكنّي، ولأني ابنةُ الحرب
أيضاً...

عدتُ من جديد
أطرقُ بابَ الحبّ
لكن.. هذه المرّة
رافعةً ثوبي عن ساقيّ
كي لا ألوّثه بدماءِ المقتولين..
وعلى عنقي
عقدٌ من وجوه
جميع من أحببتهم..
علّني أذكرُ دوماً
أيّاً منهما أودى بي إلى الموت قبل:
العناقُ الذي أوقف قلبي...
أم
ركلات الأطفال الذين توهّمتهم داخلي؟!

ولأني ابنة الحرب..
وأشبهها
للطيورِ رميتهم..
غير آبهةٍ بصراخهم..
تماماً
كـ حبيبي الذي مضى
في الحرب..
دون أن يلتفتَ
أنني متّ.

الحبُّ فقط

ما يفصلُني عن الموت ليسَ القدر
ولا رصاصة لا تعرفُ كيفَ تعضُّ على شفتيها
إن أخطأتْ وأصابتني..
ما يفصلني عنه هو الحبُّ..
الحب فقط..

ما يفصلني عن الموت
ليس درباً أو طريقاً..
ما دامَ صوت الخلخال في كاحلي يرنّ
أنا أخطو
أنا أرقص
أنا أرفضُ الموت..

ما يفصلني عن الموت
باقةُ الورد..

باقة الورد الأجدر بي أن أحملها في فرحي
ما يفصلني عنه أجنحتي..
نعم أجنحتي !
التي مهما أخفقت في تدريبها
تبقى
عصيةً
على الطوق...

سـأتثاءب

وصوّبوا الرصاصةَ نحوي.
هربتُ منها كرمحٍ مذعورٍ
لقلبك البعيد القريب
وسلمَ رغيفُ حنانكِ..
في يدي..
من الموت
ومنها ومن دمي...
وسلمتُ من الجوع والعذاب
سعيدةٌ بهذا.. سعيدة جداً
ورحتُ أسألك الملاذ
وتطعمني خبزاً بحجم دفئك
سعيدةٌ بك..
سعيدة جداً..
وتهمس: أحبك
ليصبح كل ما هو أنا
مسكوناً بالسلام...

وكل اللحظات حولنا فريدةً
تترك الحرب وتغتبط بنا
سعيدة بهذا... سعيدة جداً..

وأظنُّ أني..
لم أعد ورقةً خريفيةً بليدةً... معك
فاخضرار أوراقي يُعرش على ساعديك..
وأظن
أني شفافةٌ ومتوهجة
وأنك صافٍ..
ونبيل كنغمة الوتر
وأني إن لمحتُ الموت
وأنا معك
فقط
سأتثاءب
وأنا سعيدة..
سعيدة جداً

نون النسوة تؤلمني

أجيدُ المشيَ
لكني قلّما ألجأ إليه
كثيراً ما أتحوّل إلى سمكةٍ في العمق
وأسبحُ عكسَ التيّار
تحت الماء يا صديقي
لا يوجد قناصون
ثمّة عتمةٌ تتلاشى
حين تفتحُ المحارةُ لكَ قلبَها
وتعطيكَ لؤلؤةً من فرحٍ وضوء
في سنواتي العشر الماضية:
جمعتُ ثروةً طائلةً
من كرات النور تلك
نزلَ معشرُ البشرِ وألقوا القبض عليّ
نزعوا حراشفي..
وسلبوني المحارةَ والكرات
ارتديت ذاكرتي السمكية القصيرة

لأنهضَ من جديد
كان قلبي مرهفاً كجرحٍ أسود
حين لفَّ الصيّادُ يديه على عنقي ليخنقني
فنما لي جناحان!
فردتهما على عرض السماء
أتتني رصاصة عطبت الأول
رفرفتُ بالثاني قليلاً ولم أصل الشمس
هويت أرضاً
وسرت على قدمي
وقلبي ينزف
لم يسعفني أحد
كنت جريحة ومذعورة..
وضعوني مع كثيرين في قفص
وصاحوا..
أنتن عليكن البقاء هنا..!
نون النسوة تؤلمني يا صديقي..
غداً..
حين أحفر نفقي في هذا القفص
وأخرج من الجهة الأخرى للكرة الارضية
أو قريبةً من الشّمس
سأمزّق كتبَ اللغة
وأحرقها..

خطايا

أنا
مخلوقةٌ ترتكبُ الخطايا
من أولِ خلقِها
مُذْ قرّر اللّه أنْ يهبَني الرّوح
عصيتُه.. وارتكبتُ خطيئةً
وهممتُ
بمخالبي الطويلة
فانتزعتُ قلبي من يسارِ القفص
وطلبتُ
أن أنزل إلى كوكبِ التفاح هذا دونما قلب...
رفضَ!
وأعاد خلقي بإرادته
مخلوقةً مشوّهةً
تمتلكُ خمسةَ قلوبٍ
في كل إصبعٍ لديَّ قلبٌ ينبضُ

جئتُ وفي بطني جيبٌ كالكنغر
وطفلي فيه صغيرٌ لا يكبرُ أبداً
وأحد أسمائه: الحزنُ...
لي أربعَ عشرة عيناً
الجميع يقولون إنها:
زرقاءَ كسماء حمص
حمراءَ كفستق حلب
صفراءَ كسنابل درعا
خضراء كزيتون إدلب
واليوم
بتُّ أنظرُ إليها
فأجدها سوداء
سوداء
كسورية التي ما إن أخطّ اسمها
حتى تنزفَ قلوبي الخمسة

أهل الأرض متعبون

وجهُكَ..
وشمُ الجمرِ في قلبي..
أتألّم لأجلهِ بحزنِ اليتامى
وأحملهُ بخوفِ القرويين البسطاء
على أغلى ممتلكاتهم
أحملهُ مُتعبة وعندما تزحف العتمة
أُخرجه وأهمس:
أرجوك.. لا تنطفئ
ويصير وجهك وشم الجمر الذي لا ينطفئ

مُذ أحببتك..
أحبّتك معي السماء
وصرت بلمسةٍ واحدة على جبينك
أعلن المدى باسمي وأطير
حُبّك السماويّ يحميني

من نار الحرب ودخانها
ويجعلني أعي:
كم هم متعبون أهل الأرض..!
كم هم متعبون!

في الليلة الماضية
منذ أن بدأ الظلام يأكلني
ـ أنا صاحبة الخطايا ـ
أشعلتُ وجهك
وحملتُ حزن البلاد وحزني قرباناً أمامه
ونحوك
خطوت.. ركعت وصرخت:
أن عمّدنا بنورك وخلّصنا
وليضع حبّك يده على جباه
كل الذين ماتوا
حبّك الذي يعطيني الحياة
سيعيدهم
وليمنحنا الفرح

وأؤمن بك
وأعرفُ أنَّ وجهك سيبقى مضيئاً
كصور القدّيسين مهما فعلت

وأعرف الآن أني سأبكي طويلاً
بطولِ تنهيدةٍ موجعة..
وبرتابةِ جرّة قوسٍ واحدة
أرتفع معها عن الحرب إليك
وأعود للأرض سنونوة مجروحة تعي كل لحظة:
كم هم متعبون أهل الأرض!
كم هم متعبون!

سكاكر

قلبي
معلّقٌ بسلسلتين
في قفصي الصدريّ
والقفصُ مفتوحٌ للريحِ
والضحكِ والجنون...
وحين تأتي
يبدأُ بالتأرجحِ
كطفلٍ يحلمُ بأن يلصقَ
ضحكاته بالسماء
وأنا أصرخ لك:
أعلى
أعلى
أعلى!

وأتأمّله معك

يطيرُ بكلّ ما فيه
من روح

أتأملُ خدودَه المحمرّة خجلاً
من طلبٍ على لسانِه
بلادي لا تبيعُ سوى الرّصاص
أيمكن أن تشتري لي سكاكر؟!

جميعُ القلاعِ تبكي

أخذَت الحربُ عيوني يا أمّي..
وراحت تلعبُ بها..
مثلما كان أولادُ حارتنا
يلعبون بالحصى..

عيوني يا أمي..
التي حملت ألفَ أغنيةٍ خضراء..
في اجتماعِ المدرسةِ الصباحيّ
وحملت صرخات من خرجوا..
يشدّون اللّه من قميصهِ كي يلتفت إليهم..
أخذوها..
وأدخلوا بها.. خيطَ مسبحتهم
ولوّحوا على قلبي
وما سمحوا له أن ينزف
عيون طفلتك...

التي ما رأت فسحةَ حمص السماوية
ما رأت زيتون إدلب الذي
يقطرُ محبة.. ودفئاً
ما رأت قلعةً صامدةً
كما في كتب التاريخ..
جميع القلاع يا أمي
في سورية تبكي..
جميعُ القلاعِ تبكي

ستحملُ معكَ البلاد

ثمَّ
ستحملُ معكَ البلاد..
وتغريدة طيرٍ من صباحي..
وأستيقظُ مهزومةً
مسلوبةً من كل أصواتِ الفرح.
وأعي.. كم أنا بعيدة!

وكم هي مدهشةٌ خفّة ساعدي دونَ طيفك!
وكم هو مدهشٌ قلبي السَّاكن!

ثمَّ..
سأكتبُ
وجرحي بعمقِ جرحِ البلاد
رسالةً وحيدةً وخائبةً..
أخطّ عليها أحبّك

بكل صدقٍ..
ولا أدري لمن أرسلها..

وتُهدم حينئذ داخل قلبي ملامحُك
وتُطحن قطعُ المسافةِ..
«المسافةُ بين العُرسِ والمقبرة
شجرة..»
أنا الشجرة التي ستنمو
وجذورها ملامحك..
لتبقى أنت نسغي
وتزهرُ على أصابعي البلاد

حبٌّ عظيم منتصر

كنتُ أؤمنُ..بأنّك نورسٌ بعيدٌ
يومي لفم الورقة، بأجنحته
فتبتسم... ويشتدُّ بياضُها

وكانَ يرضيني..
أن تظلَّ في مدى مفتوح
وأظلّ أكتبُ عنكَ ببراءة طفلة
يُبهجها أن تصنعَ من اسمك
زورقاً ورقياً..
وتحمّلهُ أمنيةً وحيدة كي لا يغرق..
ومضى الزورق حاملاً أمنيتي
بحبٍّ بسيطٍ.. كحلم مُعتقل بنسمةٍ
عظيم كثورة..
عظيم ككلّ النازحين المقهورين..
ولذيذ كالخبز والحلوى..

وغرق الزورق..
وكبرتُ أنا..
وما زلتُ أحبُّ النوارسَ
وأصنعُ الزوارق...
لأجل حبٍّ عظيمٍ مُنتصر

قليلٌ من الملح

قليل من الملح...
على خاصرتي المجروحة
حين كنت أقتطع منها
وأهبها للسماء..
كي تشبع..
وتتركنا..

قليل من الملح..
بفمي
دون خبز مع أحد
لأبقى وحيدة ومالحة
لا يستلذّني الموت...

قليل من الملح
بكفّي..

أعبّئ به عينَي الظلم..
وفمه

قليل من السكر
تحت قدمين...
أخطو بهما على درب أخضر
وتتبعني البلاد...
وأداوي جرحها
وقلبي
بقليل من الملح هناك...

ربيع القلب

وحيدةً..
أرسمُ وجهكَ الحزين
يشبهُ وجهَ الليل..
فتشعُّ نجمتان هما عيناك
ومثلَ فقاعاتِ الصابون
تتلاشى النجومُ الباقية...
وتبقى خلفَ نافذتي
وجهاً يشعلُ في القلب
جمرَ الذكريات
ويرسمُ بالفحمِ اسمك الذي كان يوماً ربيعَ القلب
وبأصابع مرتجفةٍ أسندُ أغصانَ أشجارك
وأتمدّد بظلالها وتمتدُّ جذوري
فأورقُ صلاةً لعينيك
صلاةً لاسمك
علّني أراه معافىً من

الشريط الأحمرِ للخبر العاجل
ومن جباه الطيّبين المحنيّة
من أرغفةِ الخبز المدمّاة...
ومن جنازيرَ تضرب الحياة على أكتافنا
بضربها للموت ألف تحية...
وتمتدُّ جذوري..
لتلاقي أطفالَك.. وأنشلهم
وأعرفهم حتى بيدهم الواحدة
وبعينهم الواحدة
أعرفهم..
وأعرف أن أغصاني تتكسّر..
وتلوي بكلّ من حملتهم
بانتظارك
يا ربيع القلب
متى سترجع أخضر؟

لا أصلّي

لا أصلّي لأني لست راضية!
لست راضية عن أصابعي العشرة
المزروعة في كفّي بعيداً عن فمي
والتي أراد الله أن يدهشني بها... فأهداني القلم
وكتبت..
ما أجمل العيش!
حين تلمع الفكرة برأس امرأة حرة وتكتبها
ومنذ ذلك الوقت
عاقبني بتقسيم أصابعي.. ثلاثة تطعمني لأبقى
وسبعة للخوف...

سأصادق الحرب

سأصادقُ الحرب..
وأُحبّك كما أحبَّت أحلامي
فليقف حبّنا المصاب بالمسافة
على ساقٍ واحدة..
وليلوّح للعصافير..
ولتشهد السماء بأنه ليس فزّاعة
وتعترف بأنّه خُلق هكذا
ليطير..

سأصادقها..
وأتلمّس كلَّ أعناقِ مَن ألقاهم
وأُشهرُ مخالبي منتزعةً حنجرة دافئة
أضمّها وأبكي
منتشيةً بأنَّ هذا كل ما أحتاجه

لأقول: أحبك
يعزّ عليّ أن أخبرك
بأنّي حين رددتُ بابَ القبر منذ سنين
أصبحتُ مزيّفة..
نعم.. نعم مزيّفة
أتمدّد أمامك هامدةً
وأصكُّ على جسد الطفل داخلي
كي لا يكبر بي دون لون..
ولعجزي أن أعلّمه كيف يحلم..

أصابعي..
كتفاي
عنقي
وشَعري الذي تحب..
كذبةُ حرب صغيرة على شكل أنثى
يرعبها أن يقبّلها رجل
فتشتعل دون أن تتوهج

سأصادق الحرب..
وأجمعُ كل طائراتها..
وأكتب على أجنحتها..

«أحببتك والحرب مشتعلةً..
والعيد بعيد جداً
حين تنطفئ الحرب وأكبر
ستطير الطائرات من جديد
لتذكّرني:
في 2015
كان حبك عيدي.. وكل أحلامي»!

وأنتظر

وأنتظرُ..
المساواةَ مع سلحفاة..
بحملِ البيت
- بيتي -
وأمضي ومعي ضحكات
وحفنةُ ذكرياتٍ لا يزعجني أن تُبطِئَ سَيْري..
وأحلمُ..
أن أنجو ككنغرٍ..
بجيبه
صغيرٌ يعتادُ القفزَ والفرح
منذُ الصّغر
فيبدو كالنهار متدفقاً وسعيداً
أو..
عينان كفيفتان كعقرب
لأنقضّ على الرصاصة

دون خوف..

لأمنعها..

من قتل النور داخلي...

لأبقى من

الحالمات

السعيدات..

الكاتبات..

المجروحات

من وطن برقّة الورق

طيفه

وحادّ كالورق

جرحه...

وأبقى

أكتبه

وأنزف

وينظر

إلي

بعينين

ناصعتَي البياض كالورق

هروب

أهرب..
من ثقوب الناي..
أخاف من أصابعك المجروحة
أن تلوّن روحي بالأحمر
فأخرج
مع نفسك
نغمة شفافة..
أكتافها عارية..
من الركض.. ومن قسوة الحرب..
وأهرب..
من خمسة عشر عاماً
من عمري مضت
كنت أضحك فيها للمدى
والناي يبكي ويمدّ لي يده
حملت القصب نحو الفرح

ومددت يدي
شهق الناي حزناً
وأنا منذ أربع سنين
أطالب
بفكّ أسر قوس قزح
أهرب..
من عهد الزبيب..
من جميع محاولات قتل العنب..
نحو كروم الأرض والدوالي..
وكم كان موجعاً يا صاح
نواح الدوالي..
من وهج نار الحطب...
أهرب..
قلمي بيميني...
والكفن باليسار..
أتوقف وأكتب:
لا للهرب..
فتنبت وردةٌ على درب القصيدة
تتوسّل معي للخلاص
ويبكي علينا وجه الربّ

لم يبقَ أحد

النافذةُ المفتوحةُ الآن
تنثرُ نجوماً على سريري
النجومُ تتحوّل وجوهاً
وأنا أعدُّ..
من قالَ إنَّ النجومَ لا تُعَدّ؟

تعثّرتُ بثوبِ السّماء..
فاقتربَت منّي قليلاً..
سألتها:
كم تريدين منّا بعد؟
ما حضنتني..
أجابتني بقسوةٍ... الربُّ حزين
بحاجة إلى الأرواح..
وعطايا الربّ دوماً تُرَد

نهرُ دمٍ يزحفُ صوبي..
بهمسٍ سألته:
من تسقي والمدينة خالية..
صبّ في فمي..
وكتب بدمي
كلهم ذهبوا..
والآن فقط..
لم يبقَ أحد!

خسارتكَ المضيئة

وعرفتُ أنني
أفلتُّ يدي من يدك لآخر مرة
وأنك ستحضنُ حقائبَك وتمضي
وسأفرحُ أنا بالخسارةِ المضيئة!
خسارتُك المضيئة..
التي ستجعل اللّيل يرددني على مسامع الصبايا
على شكل: أغنيةٍ كورديةٍ حزينة
أو جرحٍ باقٍ في الخاصرة
كوشمٍ من جمر لا ينطفئ

ويرسمني لهم:
عاشقةً جائعة عرفت متأخرةً
أنّ أرغفة الحبّ بيد الحبيب
الذي مضى.. دون أن يطعمها

عاشقةً تعاني من آلام مبرحة
في ذاكرتها التي سيلفّ أسوارها الشوك
شوك المسافة من بعدك الجارح..

عاشقة لأجلك..
رفعت الصلاة لاسمك في الحرب
وراحت تتلوها أمام النوافذ..
وكلما مرّت رصاصةٌ تتفقد يديها المرفوعتين لتلاقياك..
ثم ترفعهما..وتهمس فرحاً بأنها ليست ممن ماتوا الآن..!

كان الفرق بينك وبيني:
حقيبةً واحدة
أنا أسميها: حقيبة الحبيب وأُخرج منها الضوء
وأنت تسميها: حقيبة الحبيبة وتحاول حبسي فيها.
كيف يُسجن الضوء معك..؟!
كيف تحاول قتله؟!
أين سأخفي مولودتي «الخطيئة»
حين اقتربت بجسد الضوء السماوي
من جسد الحب الأرضي التضاريس؟

وعرفت أنني: أفلتُّ يدي من يدك
للمرة الأخيرة

وأمسك كل اللحظات الهاربة بيننا

كل اللحظات المتوهجة

كل نور سيكتب:

«خسارتك المضيئة

منحتني الشعر

الشعر المضيء من انكسارات الروح بعدك!»

أبيعُ قلبي

أبيعُ قلبي..
بشوارعِ مدينةٍ بعيدةٍ لا أعرفها
أبيعهُ
بمئةِ دولارٍ تقابلُ حرباً
وأرفعُ لساني عن ندوبي
أسلّمه للغةٍ أجهلها
لكني أظنّ أنها لن تعكسَ أيّ ألم...

أبيعُ قلبي للذي أحبّ الضباب
وجعلني حلماً يستحمُ بالمطر
تطيرُ من جسدي أغنيات كثيرة
رأيتُها مرةً تولدُ من حارات الشام
حين تزوّج الحنان الحجر

أبيعُ قلبي لغريبٍ
وأمضي غريبةً

تتقنُ جيداً المشيَ في الأضواء الكثيرة
تطعم ذكرياتها للإوزّات
تتعلّم كيف تنافسُ القبّرات بفرحهنَّ بالحب
وكيفَ تلفظُ بهدوء
أسماء شوارع لا تحمل أسماء شهداء بلدتها

أبيع قلبي للذي حطّم أمام عينيّ
أيامي الرتيبة مثل أسطوانات «جوك بوكس»
وخلقني من جديد
كأغنيةٍ من أغاني عرائس البحر لـ«يوريس»
لأمشي نحو «أوسكار وايلد»
الذي قال: «وظيفة أهل الفن أن يخترعوا لا أن يؤرّخوا»
حاملةً اختراعي الجديد
على شكل قلبٍ منذور للفرح
ينبضُ منتشياً على خمس سنوات حرب
يكبر كل لحظة
دون أن توقفه أي رصاصة
و
يُحب...

الزوايا المكسورة

لا شيءَ يُشبهك سوى
صفحاتِ الكتب الرّحبة
ولا شيءَ يُشبهني
سوى الزّوايا المكسورة
أعلاها
الزوايا
التي: تمددُ يديها
لتسحبَ ثوبَ المسافةِ والضياع
وتمزّقه
ولا تصلُ إليك

أُناديك..
فيزحفُ لجسدي كلُّ ما هو باردٌ وقاس..
ويحضرُ الموتُ برحمهِ العذب..
يحملُني ويضمني إليه

وعلى صدره أقول: أحبك
وأكرهُكَ في آن
ولهُ
أُخرج قلبي الذي يضمر
بحثاً عنك
ولهُ
أرمي عن جسدي
كل ما يثقل أجنحتي
أرمي نوافذَ الانتظار..
وكل طرقاتِ البلاد التي لا تودي إليك
سكاكين الأصدقاء التي
صدّقَت بأنّي ألتهمُ الضوء
فأوجعت جسدي بطعناتٍ
يعبرُ من خلالها لأطير...

وأناديك..
ليبقى صوتي حياً..
وأرفعه بوجهِ كل الموت المحيط
وأناديك
لتُعرّش على أيامي
ورودٌ تغطي وجه الغياب
فتكون أنت

ولا أبقى أنا
جديلةً من الأعصاب
يصفرُ بها الخوف
فتهتزّ مرتجفةً.. هاربةً
ولا تهتدي إلى يدك!
يدك التي أكتب لها
وقلبي تحت كل زاويةٍ مكسورة

تعب وعتب

وها أنا..
وحيدةٌ الآن
بيني وبينك: جسورٌ من تعبٍ وعتب
أقطعها ووجهك منارتي البعيدة
وجسدك مرفأي
وحين أكادُ ألمسك
تحضنُ الحربُ يدي وتُغرقني
قبلَ أن أصل إليك..

مضت ساعاتٌ طويلةٌ
وأنا أختنق قبلَ أن أكتب الآن
مضت ساعات طويلة
وحالي ككل الغرقى الذين قضوا
ولم تستطع قلوبهم إنقاذهم
وأكتب الآن: عذابٌ أن أحيا دونك
وعذابٌ أكثر أن يعجزَ كل هذا الملح عن تسكين جروحي

أغرقُ
كنت أغرق
وكلّما أفلتَ الليل برده عليّ
أقول اسمك: صرخة نجاة
ترفعني على شمس يوم جديد
أفرحُ فيه بالدفء وبالسكينة
وأفرح أني نجوت من جديد
يوماً واحداً أشهدُ فيه:أني أحبّك!

أيها البعيد القريب
ها أنا الآن أستعذب الحزن بك
ويسعدني أن أشتعل لأجلك كإحدى سجائرك
ويسعدني أن أكون رماداً حراً
يطير بخفّة نحو البلاد البعيدة ويلقاك

أدير ظهري للحرب
أتجاهل ثقوب الرصاص في ساعدي
وأهلل فقط للضوء المارق منها
وأعزف لك
كما جاء في وصاياك
وبملء صوتي: أغنّي
وبملء صوتي: أُسكت حوّامات الطائرات

وآمرُ قلبي: طِر أنتَ!
طِر بقدر ما تحبّه!
وبجنون تشقّ أجنحته صدري
ويعلو بغبطةِ أطفال القرى
ويرقص بنشوة السكارى
ويمجد اسمك

أسميتكَ: سعادة صباحاتي الضجرة
ونور مساءاتي الثقيلة

أسميتك: صوتي
ولون أيامي الجميلة
أسميتك: انتظاري الثمين
أرضي.. سمائي.. والمدى
أسميتك:
الفرح.. الفرح.. الفرح..

إنّي خذلتكَ يا أبي

ليس مهماً شكل قلبي الآن
ليس مهماً كيف أتنفس برئة وحيدة
بعد أن أطعمت الثانية للحزن
سأبعد يدي عن النافذة
ليس مهماً إن دخل الليل والريح معاً
وخرجتَ أنت
في هذه المرة:
سأشدُّ الفراغَ من أذنه
وأصلبه على جدران غرفتي بالمسامير!
في هذه المرة:
سأبدّل قمصانه بيدي
وأحفّ رجليه بقلبي الخشن!
أتوسل إليه: لا تتركني
ولتملأ فراغات أصابعي تراباً
لأكفّ عن تلمُّس وجهك

ليس مهماً أن أكتب لك:
عن غرفتي التي امتلأت بالأغاني الميتة
أو عن تفاهاتي الطفولية
التي يومي إليها الحب بعصاه
فأكتب إليك مجدداً وأعد نفسي مجدداً: ستكون هذه المرة الأخيرة التي أحب
ثم أفتح للحب كفي طواعية
وآكل ضرب العصا
ليس مهماً أني أمتلك خيالاً غبياً
يؤرّقني بصراخ أطفالك
ذلك لأني ألبست وصايا أبي
للحرب:
فنظرت بحب للرصاصة التي تتجه لجبيني
ونسيت أنها تودِيني للهاوية
إني خذلتك يا أبي!
كسرتُ صدفتي العازلة
قادتني وحشة العمق للسطح
ولم أكن نقية بما يكفي لتلتقطني السماء
فألقيت خدي على الشاطئ
هل تلتفت أقدام الشاطئ لخدود المحارات؟!

حبة قمح تودي لغابة محترقة

وكنت دوماً أقول اسمك
ليتفجّر الدمع من ينابيع الذاكرة
ويغسل قلبي
كأي طريق من طرقات بلدي
يبكي على عشاقٍ حملهم
قبل الحرب
وما حملوا منه إلا ذكرى
كحبة قمح تودي لغابةٍ محترقة
بعدها

معك..
كانت اللغة على شفتي
رقيقة ترتجف كخيال شعلة
تتراقص دلالاً على صدر جدار..
ومن شدة النور يطفئها..

ودونك.. تضيق
كثوب بلون واحد أحاول عبثاً
أن ألبسه لقوس قزح فيتمزق

وكنت أعرف: أن قمحي لا ينمو فوق صخورك
لكني دوماً
ببساطة عصفور يمتنّ للعالم من كسرة خبز
أحمل الحب
وأرفرف فرحاً وشكراً للوجود..

من يديّ الموت طرت

من يديّ الموت طرت
ولمستُ قلبي المليء بالكدمات
حملته برهبة القاتل
وعجز المقتول
وضعته على كتفي الأيسر فكانت: حمص
وعلى كتفي الأيمن
ناحت كل حمامات الشام

بحرقة ودّعت حلمي الذي تشوّه
وبيدٍ مرتجفة أشدّ أثواب الكلام
لأتمتم على طرقاتي الجديدة:
كم كان وجه البلاد حلواً في أحلامي!
وأرقب دمي يسيل من ساعد القصيدة
وقد انغرست به أنياب السلام
وكم مدينة غصّت بموتاها

وبي:
كان الأنين وصار المنام
ولمت قلبي
وحضنت البلاد
ومن يديّ الموت طرت
بجناحين..
جناح الصبر
وجناح السكينة..

لأجل الندم.. سقوط للأعلى

لأجل أن تستمرّ الحكاية
بيضاء ونقية كما بدأَت:
أحفُّ جسدي بجسد الحرب
وأمنحه أحزاني
وأعود كتلةً من لحم وحبر
وبجملة واحدة أتمنى:
ألا يخلف الفرح موعده معي
وأكتبها..

لأجل قلبي
أوّل من ينبض بلهفةٍ وآخر من يستكين بوجع
أردّ الباب
مُسلّمة أني لم أعد أسمع أي طرقة عليه..

لأجل الندم: أمدّ أصابعي

طويلة.. شهية.. جميلة
وقادرة أن تعزف ولا أحاول أكلها أبداً
ولأجل الندم أيضاً:
أعود لصوري القديمة مشاغبة
أجمع كل الحلوى على كتفي
وأبدأ الآن بالسقوط
للأعلى
للأعلى
للأعلى

لا أتألم

أُخبّئ جرحَ قلبي
أشدُّ أصابعي عليه وبلا مبالاة
أتأمّل كل الضمادات أمامي
وأتمتمُ بوجعٍ خافتٍ:
أنا لا أتألّم.
وأكمل كتابة قصيدة كاملة لك
بقلبٍ مكسور
أي ضمادة هذه
التي توقف نزيف الفراق؟
أيُّ جبيرة تستطيع
احتضان أيامي القادمة دونك بحنان؟
أيّ إبرة قادرة
أن تصلني بك من جديد
وتقطّب جرحاً يمتد من قلبي
على عرض الكون الذي كان يكبر
كلما قلتُ: أحبّك

وأكتبُ: عن الفراق الآتي
لا محالة
أبكي وأرتجف أمام كل باب
وكأنّي سألقاه بوجهي
ينتظرني لا محالة

أتذكّر بحزن عميق:
يدك التي رفعتني يوماً
لأكون من مخلوقات الفرح والضوء والجنون
وغابت دون أن تنقذني
فعدتُ مخلوقةً طائعةً للحزن والرتابة!
وأعترف بحزن أيضاً:
أني مصابة بالشلل
كما لغتي
كما اسمي
كما هذي الحرب الرابضة خلف نوافذي
لكني لا أتألم
فقط
أسلّم الذهول جسدي
فيقضمه
ولا أومي إليه أني بحاجة أطرافي

حين تصير الكتابة
عنك وإليك انضماماً للحرب
تصبح اللغة سيفي
الذي أقتل به ويقتلني
فأحبك لأنك: السلام والطمأنينة
وأكرهك لأنك الخوف والموت في آن!
ولأن انكساراتي بك انتصارات
فكل هزيمة للكره والضعف والحقد
هي: انتصار للحب!
وكل هزيمة لحب كبير
هي انتصار لحزن أكبر بعدك
أعود إليه
لتغطي بيارقه ما تبقى من قلبي مجدداً

أتممتُ العشرين

أتممتُ العشرين..
وبيدي شمعتان الآن
أولى أُشعلها..
وأرفعُ نخبَ خمسةَ عشرَ عاماً ملوّناً
من عمري مضت
وثانية.. أعتذر بها لخمسةِ أعوامٍ شوّهتها الحرب وخانني
ساعدي، فلم أنقذها من نيرانها

أتممتُ العشرين
وصرتُ قويةً..لأواجهَ الحقيقةَ الأولى
في عامي الجديد
عمري: عشرون وحرب
أحلامي كثيرةٌ بعدد الرّصاصات
وحلوةٌ بحلاوةِ شهداء بلدي

أتممتُ العشرين
مذنبة
ومثقلةً بانعدام المعرفةِ والتجربة
لم أعرف مدنَ سورية
إلّا بعدَ الحرب
لا أعرفُ عن الكُرد إلا أغانيهم التي تحنو عليّ
وصور عذاباتهم التي تُثقل قلبي المُتعب..

أتممتها
سعيدةً بنصفِ عقلٍ نجوت به
من بلادٍ لم تكن يوماً كاملة
وسعيدةً بأني
من نصفِ الشّعب الذي
لا يزالُ قادراً على الحُلم
حين يلوذُ من الموت بظلّ الرصاصة القاتلة

كبرت سنة
ازددت فيها حباً للضوء
رغم أنه يكشفُ جراحي
ازددتُ فيها حباً بالحلم
تعلّمت فيها الغناءَ لساعدي المقطوع

وكيف أودّع حبيبي الذي حمل قلبي
وأغمض عيني حتى تعود أحلامي الراحلة
لنيرانِ الحرب أحزاني
للحبّ أحلامي
للفرحِ في عامي هذا سأغني
ـ إن سلمَ صوتي ـ
ونحو سعادتي أمضي
وتمضي معي موسيقاي وألحاني.

لن أطفئَ الشّمعة هذا العام
سأشعلُها.. ليُكملني الضوء.

/وشوشات/

/حين كانت أمي تجدل شعري
وتجبرني على أن أشرب كأس الحليب
وتغريني بلقمات الخبز المحشوّة بالسكر
كي أكبر
ووطني بي يكبر
لم تصارحني بأن الوطن تألم كثيراً حتى كبرت
وابتعد عني الآن أكثر وأكثر وأكثر/

/الورود لم تنبت بعد في أرضنا

ليس التزاماً بموعد الربيع، بل خجلاً من أشلاء من كانوا الربيع يوماً.. وخلدوا تحت التراب وأخذوه معهم/

/لا أجد حزناً كافياً أمام صورتنا

لكن عتبي على الكلمة

التي ما استطاعت أن تكون إطاراً مرةً واحدة وتضمّنا بقصيدة/

/كتفي المجروح
لم تعد تقصده حمامات الحي
وعنقي لم يعد آمناً أبداً
لا ليدك ولا للطوق الماسيّ
اسأل مرآتي
حين رفعت أمامها شعري
كم رصاصة سلبت أصابعك عنه/

/يدي الصغيرة

التي كانت تحضنها أمي..

وتمشي بفرح لتشتري لي.. علبة تلوين.. أو دفتراً أبيض..أو قصة ملوّنة

كبرت معي..

كبرت بما يكفي لإخفاء وجهي

عن الشريط الأحمر للخبر العاجل../

/ملأتُ حفنتيّ بالماء
لم يعد مهماً إن غسلتُ وجهي أم لا..
ولم يعد مهماً أيضاً..
كيف جمعت الماء نقطةً نقطة

أنا.. فقط
أردت رؤية وجهي..
لأن مرايا بيتنا تفتتت
وتفتتت معها.. وجنتاي

لم أعد أذكر نظرتي إلى صباح
ستأتي به
لم أعد أذكر ابتسامتي لخطواتك
ما يعنيني الآن فقط
هو السمك..
نعم السمك الذي يسبح
في راحة كفّي..

أين وجهي؟

أين وجهك الحلو..؟

ترى أين تنتهي دموعي المالحة..؟

وأين يبدأ البحر؟/

/حائط البلد يعجّ بالفراشات..

تتناثر من كل حدب وصوب.. هل عرفت الآن لماذا يهدمون الجدران؟/

/هدهدتُ لقوس قزح

حتى غفا على كتفي

فرشتُ درب الحلم باللون

غفا اللون

تاه الحلم

وباتت وسادتي كهذي البلاد

خراباً

خرابا/

/مملةٌ حارتنا

ومدخل بيتنا

مملة ثقوب الرصاص في الحائط

مملة رسائلك ووجهك وصورك

وحدها أصابعك

التي تلقيها الآن

على يد سيجارة لك..

تُشعل قلبي!/

/خمسة أعوام:

مضت على حلو أيامي

خمسة أعوام وأنا أدير

رحى الحرب

على أحلامي..

قمح كثير صار بين يدي..

هكذا أطعمت الحرب..

فأزهرت خوفاً

وهكذا..

أدير الرحى وأتثاءب بوجهها الدامي/

/غارقة في الفرح كنت

مذ احتللت بصهيل صوتك ليلي

وراح يرميني

بنجمة نحوك

ونجمة إليك

كنت أنا

على كف قمر

وكنت أنت القدر ربما

هكذا قالوا بخطوط الفنجان

هذا ما جنيته من وعد وريقات وردتي بك

مراراً أقنعتها:

ستنتهي الحرب.. سيحبني..

كم وردة عن دربي أبعدت؟!

كم وردة لأجلك تراني قتلت؟!/

/يدك التي تحمل لي الدفء
والتي أمدّ لها يدي وأنا أرتجف
لأضمها
ويضمنا الحب إلى صدره
ونبتسم
لو كنت تسمعني الآن
لو كنت تراني
أخرجها من صورتك
ضعها على فمي لأكف عن الثرثرة/

/الحرب..

الكلمة المؤنثة الوحيدة

التي لا تمتلك قلباً/

/الموسيقى رديئة
خشب الآلات لا زال يحترق..

البيتُ حزين..
مفاصلُ الأبواب تئن

الصور على الجدران فارغة:
الوجوه قفزت مع الرصاصات لأرض الغرفة

الكلمات تملأ سريرنا:
قضينا ليلتنا نلف على أعناقها الحبال

حين نلتقي..
سأمدّ لك جسدي القلق
بوداعة شوارع مدينتك الآمنة..

الأغصان محنيّة..
الأموات يحاولون النهوض/

/الفرح خائن:
حين رأى الرصاصة
عانقها
ورحل
الطائرة التي تقصف:
تظلم جناحيها/

صدر من سلسلة «**شهادات سورية**»:

بمساعدة من جمعية «مبادرة من أجل سورية جديدة» ـ باريس:

1. موزاييك الحصار، عبد الوهاب عزّاوي.
2. إلى ابنتي، هنادي زحلوط.
3. بين الإله المفقود والجسد المستعاد، نبراس شحيّد.
4. كَمَن يشهد موته، محمد ديبو.
5. حكايات من هذا الزمن، دلير يوسف.
6. لم أتمدد يوماً على سكة قطار، أحمد باشا.
7. مزهرية من مجزرة، مصطفى تاج الدين الموسى.
8. غرفة تطل على الحرب، إيديت بوفييه.
9. إذا قفزت عن السياج ولم أصب بأذى، عمرو كيلاني.
10. أرض مائدة، ضحى حسن.
11. لم تنته الحكاية بعد، رؤى الإبراهيمي.
12. إكثار القليل، دارا عبد الله.

بدعم من المنظمة الأورو ـ متوسطية لدعم المدافعين عن حقوق الإنسان:

13. رسائل من سورية، وجدان ناصيف.
14. يوميات وقصائد، علي جازو.
15. انسَ دمشق، عمر يوسف سليمان.

بمساعدة من جمعية «مبادرة من أجل سورية جديدة» ـ باريس:

16. ما تبقّى من حياة، سهى زكريا.

17. لا تغمض عينيك!، د. حسّان عبّاس.

18. الدرب مسامير، منار سهران شلهوب.